مقدمة

هذه دراسة تأريخية عن الكشوف الجغرافية الحديثة. حاولنا، قدر الاستطاعة، توثيقها بالصور والخرائط والعديد من المراجع العربية والأجنبية، لنزيل بعض ما اعترى هذا الموضوع من غموض، ونجيب عن بعض الأسئلة التي ترد على الأذهان من حين لآخر.

ولكن.. هل كانت هذه الأراضي وتلك البلدان والقارات التي وصلها هؤلاء المستكشفون بالفعل مجهولة في طي النسيان؟

إن الكشف لا يكون إلا عن مجهول. تقول المعاجم: كشف الشيء وكشف عنه: رفع عنه ما يواريه ويغطيه.. وكشف الأمر: أظهره، واكتشف الأمر: كشف عنه لأول مرة بشيء من الجهد.. فهل كان الأمر كذلك؟

لماذا كانت الكشوف الجغرافية؟ ما دوافعها؟ وما أهدافها؟ وما نتائجها؟ لماذا أنفق الغرب -أوربا- عليها تلك الأموال الطائلة في تجهيز السفن والأساطيل وجنّد لها خيرة شبابه؟

وكيف انطلقت الشرارة الأولى لتلك الكشوف من البرتغال، تلك الدولة الصغيرة الفقيرة القابعة في أقصى غرب أوربا ليكون لها السيادة على العديد من المراكز التجارية

المنتشرة على طول الساحل الإفريقي والهند، وهذه المساحات الشاسعة في العالم الجديد؟!

كيف عامل هؤلاء المستكشفون شعوب البلاد التي وصلوها؟ هل أفادوهم أم استذلوهم وأبادوهم؟

إن كثيرًا من الدراسات التي عنيت بالكشوف الجغرافية اقتصر دورها على التأريخ للمستكشفين باعتبارهم روادًا ومغامرين وفاتحين عظامًا نشروا الثقافة والعلوم في ربوع تلك الأراضي التي وصلوها وارتقوا بشعوبها.. فهل كان الأمر كذلك؟

وما تلك الثقافة التي نشروها هناك؟

إن الأمر لا يتعدى فرض الكاثوليكية على شعوب تلك الأراضي قسرًا وجبرًا وقهرًا بمباركة البابا، الذي قسّم العالم بجرة قلم، بين البرتغال وإسبانيا، راعيتي الكاثوليكية في العالم، فيما اختصره أحد المؤرخين المنصفين بقوله: كانت الكشوف الجغرافية سيفًا يقتل وقسيسًا يبارك!!

المؤلف

لماذا كانت الكشوف الجغرافية؟ ما دوافعها؟ وما أهدافها؟

لماذا
قام بها الأوربيون
وأنفقوا عليها المبالغ الباهظة،
وجهزوا لها السفن، وأعدّوا لها الرّوّاد
والمستكشفين وضحوا من أجلها بخيرة
شبابهم وصفوة علمائهم؟ هذا ما سنحاول
الإجابة عنه.. وفيما يلي أهم تلك الدوافع:

توابل الشرق تلهب عقول الغرب:

كان الحصول على التوابل الشرقية من أهم الأهداف التي جعلت الغرب (أوربا) يغامر ويقوم بتلك الرحلات الشاقة عبر البحار والمحيطات.

فمنذ أن ذاق الرومان، في أثناء غزواتهم في الشرق، طعم تلك التوابل، واستشعروا نكهتها، لم ينس الغرب ذلك الطعم وتلك النكهة.. وأصبحت التوابل مكونًا أساسيًا في طعام الأوربيين يصعب التخلي عنه!!

وإلى جانب تلك التوابل، كان الطلب على العطور العربية كالمسك والعنبر وماء الورد، والبخور، حيث كانت تستخدمها النساء في الزينة والكنائس في الطقوس الدينية!

كما اشتهر في أوربا العقاقير الهندية، كالكافور والصمغ وجوز الطيب، والقرنفل، وكانت هذه العقاقير يُعتنى بها، وتُعبأ في زجاجات محكمة، ولا يثق بها الأوربيون إلا إذا كُتب عليها بحروف زرقاء (وارد من الهند)، أو (وارد من بلاد العرب)، إذ أن كل ما هو شرقي، كان خليقًا، آنذاك، أن يبهر عقول الأوروبيين ويلهبها!

كانت التوابل والعقاقير الشرقية تباع في أوربا بأسعار باهظة، منها ما يباع بالحبة، ومنها ما يساوي وزنه فضة، ومنها ما يدفع مهرًا لعروس!

وكانت هذه التوابل توزن بميزان الذهب، في مكان أُحكم غلق أبوابه ونوافذه، حتى لا تعبث نسمة ريح بذرة من ذلك المسحوق الثمين!

البحث عن طرق بديلة غير طرق العرب:

كانت هذه التوابل والعقاقير الشرقية تصل إلى أوربا عبر طريق ميناء هرمز على الخليج العربي، أو ميناء عدن عند مدخل البحر الأحمر، ثم تنقلها القوافل عبر الصحراء وبلاد العرب إلى إوربا.. وكانت تلك تجارة رائجة، تعود على العرب بأموال طائلة.

لذا نظر الأوربيون إلى العرب بعيون حاسدة وقلوب حاقدة.. وفكروا في البحث عن طرق بديلة لجلب بضاعتهم من الشرق دون أن تمر ببلاد العرب!

وكانت الحروب الصليبية أولى تلك المحاولات، حيث تحالف الغرب المسيحي لانتزاع الأماكن المقدسة من أيدي المسلمين، وفي ذات الوقت البحث عن طريق آمنة لمرور التجارة إلى أوربا بعيدًا عن الطرق العربية والإسلامية.

ولما خمدت الحروب الصليبية، وفشل الغرب في تحقيق أهدافه، وظل العالم الإسلامي قابضًا على طريق التجارة مع الهند، بات لزامًا على الغرب إيجاد طرق أخرى لتجارته بعيدًا عن أيدي العرب، فكانت الكشوف الجغرافية!

وعلى هذا، يمكن القول بأن هذه الرغبة كانت من أهم العوامل التي دفعت (كولمبس) إلى الغرب، و(دياز) و(فاسكوداجاما) إلى الجنوب، و(كابو) إلى الشمال نحو أرض لابرادور، في سبيل استكشاف مسالك بحرية جديدة!

التبشير بالمسيحية:

كان نشر المسيحية خارج أوربا من أهم دوافع الكشوف الجغرافية، حيث تسابق المستكشفون والمغامرون في هذا المضمار طلبًا لإرضاء السماء.. وسيتضح فيما بعد مدى ما لاقاه هؤلاء المستكشفون والمغامرون من مشاق، وما تعرضوا له من أهوال وأخطار وأمراض فتاكة أودت بحياة بعض منهم.

البداية..
من البرتغال

لم يكن في وسع البرتغال، وهي البلد الصغير الفقير، أن توسع حدودها البرية على حساب جارتها إسبانيا.. ولم يكن بد من التوسع عن طريق البحر بالتجارة واستعمار أراض جديدة.

ولكن كيف وهي تقع على ساحل المحيط الأطلسي الذي ساد الاعتقاد آنذاك طبقًا لنظرية بطليموس، بأنه لا سبيل إلى عبوره ولا نهاية له؟!

كما ساد اعتقاد، طبقًا للنظرية نفسها، أن إفريقيا ملتصقة بالقطب الجنوبي، ولا يمكن الدوران حولها.. وأن الملاحة في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) مستحيلة.. والهلاك هو مصير أية سفينة تحاول الملاحة هناك، حيث تشتد حرارة الشمس، وتغلي المياه، وتندلع النيران التي تلتهم تلك السفينة.. أما المسيحي الذي يجرؤ على الدخول هناك، فإنه يمسخ ويصبح زنجيًا!!

هنري الملاح ◁

هنري الملاح والشك في نظرية بطليموس:

إنه الأمير هنري ابن ملك البرتغال، الذي زهد في الإمارة والملك، وكرس كل جهده ووقته للملاحة وخوض المحيط الأطلسي وإرسال البعثات الاستكشافية إلى سواحل غرب إفريقيا.. وذلك لملاحقة المسلمين، وكما يذكر (فيج)، فإن الهدف من جهود هنري الملاح هو الوصول لمملكة الحبشة المسيحية للتحالف معها، عن طريق عبور القارة من غربها إلى شرقها، إلا أنه لم ينجح في ذلك، بسبب وعورة الطريق، لذا، وجه هنري اهتمامه إلى إرسال حملات كشفية على طول الساحل الغربي لإفريقيا..

بطليموس ◀

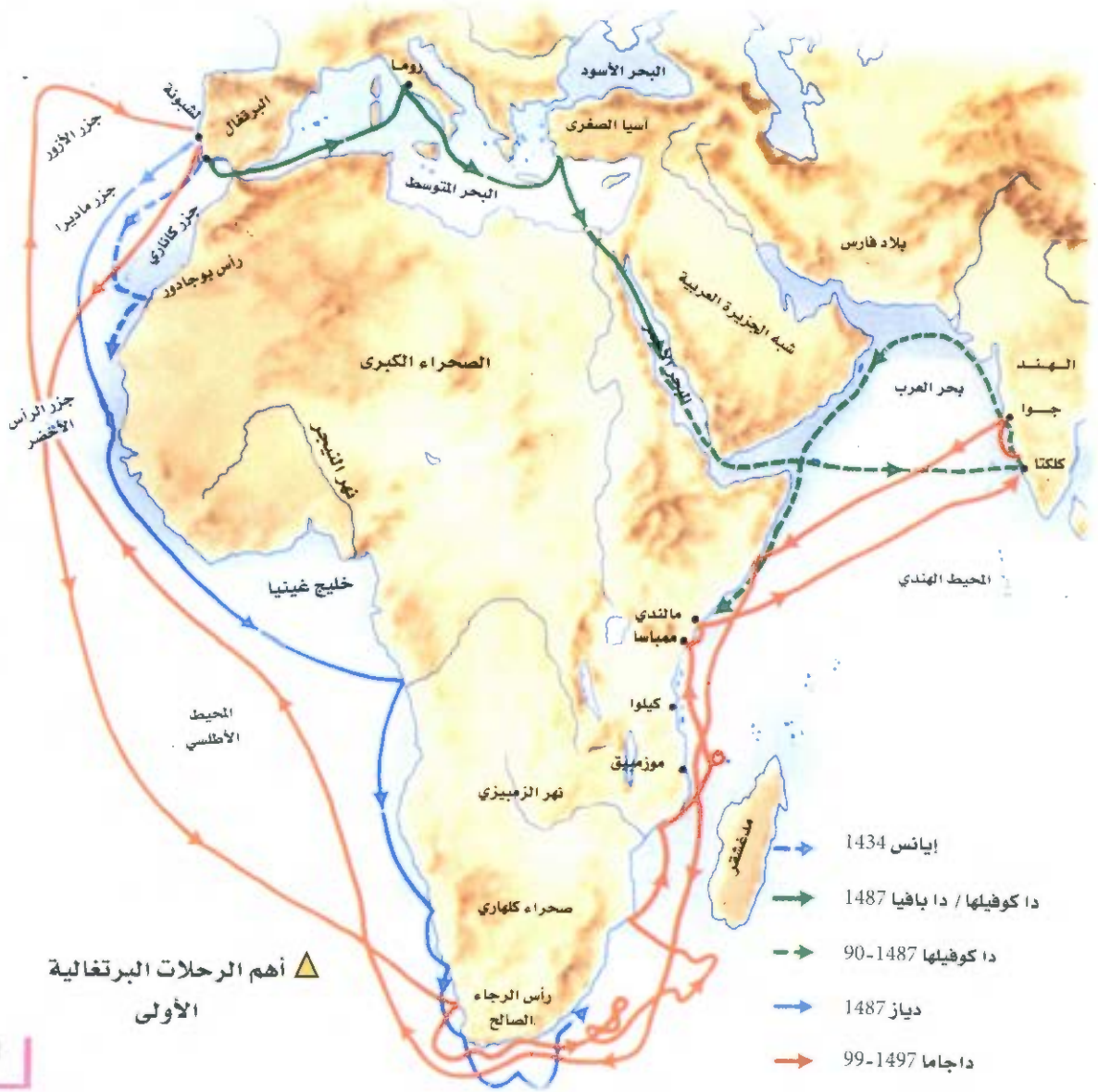

△ أهم الرحلات البرتغالية الأولى

ولكن كيف يتحقق له ذلك في ظل نظرية بطليموس؟!

بدأ الأمير يشك في صحة نظرية بطليموس، وزاد هذا الشك عندما رأى أن أمواج المحيط تأتي أحيانًا محملة بقطع غريبة من الأخشاب التي ليس لأهل البلاد معرفة بها.. فلابد وأن تكون آتية من بلاد مجهولة لم يعرفوها.

وتحوَّل شك الأمير إلى يقين رسخ في ذهنه، لذا كرس كل جهده للعمل على خوض المحيط، ومن ثمّ عُرف باسم (هنري الملاح)!

وتمكن خلال فترة وجيزة من إرسال نحو 50 بعثة استكشافية في المحيط، لم يشترك في واحدة منها!

وبعد محاولات عدة، استطاعت بعثة بقيادة (جيل أيانس) من الوصول إلى (رأس بوجادور) على ساحل المملكة المغربية، كان ذلك عام 1434م.. وهناك كتب (أيانس) يقول:

(إن العالم الكبير بطليموس مخرِّف، وأن الملاحة في مياه غينيا سهلة، والبلاد جميلة فائقة الثراء!!).

وفي عام 1445 تمكن (دينيز دياز) من الوصول إلى الرأس الأخضر.

وانطلقت البرتغال وتحقق حلم هنري الملاح:

هكذا تجاوزت البرتغال العقبة، وتوافد عليها البحارة والمغامرون من بلدان شتى، ووضعوا أنفسهم تحت إمرتها.

وفي عام 1460 مات الأمير هنري الملاح، بعد أن صدق حدسه في خطأ نظرية بطليموس.. وبدأت نهضة البرتغال الحقيقية في الكشوف الجغرافية في عهد الملك خوان الثاني.

في عام 1471 وصلت السفن البرتغالية إلى خط الاستواء.. وفي عام 1484 نزل (ديجو كام) عند مصب نهر الكونغو.. وبعد ذلك بعامين (1486) وصل (برتولومبو دياز) إلى أقصى جنوب إفريقيا، حيث رأس الرجاء الصالح، والذي كان يعرف قبل ذلك برأس الزوابع.. وعلى الرغم من أن تلك الزوابع مزقت أشرعة سفنه، إلا أنه واصل الإبحار حتى بلغ الساحل الشرقي لقارة إفريقيا، وقد عزم على مواصلة الرحلة إلا أن بحارته ثاروا عليه وأجبروه على العودة إلى البرتغال.. وكان (دياز) أول من وصل من الأوربيين إلى رأس الرجاء الصالح.. ليأتي من بعده (فاسكو داجاما) ويكمل المشوار، كما سنرى فيما بعد.

ودخلت إسبانيا اللعبة:

تطلعت أوربا بعين الدهشة إلى البرتغال، تلك الدولة الصغيرة القابعة في أقصى غرب أوربا، كيف تحولت إلى دولة بحرية كبرى!

وأصبحت لشبونة، عاصمة البرتغال، محط أنظار الجميع.. وأدركت أوربا آنذاك أن هذه الاكتشافات الجديدة ستغير معالم الكون أكثر مما فعلت الحروب والمعارك، وأن عهدًا جديدًا قد بدأ.

فهل تترك أوربا البرتغال تلتهم الكعكة وحدها؟

أم لابد من التدخل ليحصل كل على نصيبه منها؟

ولكن ماذا تفعل أوربا، ولدى البرتغاليين وثيقة كان قد استصدرها الأمير هنري من البابا بأحقية البرتغال بتملك جميع الأراضي والبحار والجزر التي يكتشفها البرتغاليون فيما وراء رأس بوجادور، ووقع على هذه الوثيقة ثلاثة باباوات آخرين؟!

كولمبس يعرض خدماته:

في ظل هذا التنافس البحري الشديد، توافد البحارة والمغامرون على البرتغال كل يتمنى أن تشمله رعاية الملك ليحقق ما يصبو إليه.. وكان من بين هؤلاء المغامرين، الإيطالي (كريستوفر كولمبس)، الذي درس العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك في بافيا Pavia، وكانت له دراية برسم الخرائط، وكان يدفعه إلى تلك المغامرة عوامل ثلاثة:

كريستوفر كولمبس

- الرغبة في الشهرة والثراء.
- تعصبه للكاثوليكية، والرغبة في نشرها في أرض جديدة، وكذا إيجاد طرق بديلة لتلك التي سيطر عليها المسلمون، كما دوَّن ذلك في مذكراته.
- دراساته العلمية التي تأكد من خلالها أن العبور إلى شبه القارة الهندية وقارة آسيا لا يقتصر فقط على الرحلات المتجهة شرقًا، ولكن أيضًا يمكن الوصول بالاتجاه غربًا، وذلك لكروية الأرض.

عرض كولمبس أفكاره على مجلس الشيوخ في إيطاليا، فرُفضت.. وكذلك رفضها الملك هنري السابع ملك إنجلترا، فلجأ إلى الملك خوان ملك البرتغال، فلم يأبه بها، إذ ما الداعي للمغامرة بأموال البرتغال في سبيل البحث عن طريق إلى الهند من جهة الغرب، ما دام الطريق من الشرق قد فُتح؟!!

وأخيرًا كتب كولمبس إلى (إيزابيلا) ملكة قشتالة، والملك فرديناند، وكانا من أشد المتعصبين للكاثوليكية، وبعد مناقشات طويلة، وفي 30 من إبريل عام 1492 تم توقيع اتفاقية مع كولمبس، منح فيها رتبة أمير البحار والمحيطات، كما يمنح 10 % من الذهب والبضائع التي سيحضرها معه من الأراضي الجديدة دون أية ضرائب!

وبدأت رحلات كولمبس.. وسيأتي بيانها تفصيلًا.

البابا يقسم العالم بين البرتغال وإسبانيا:

وقع خبر إبحار (كولمبس) لحساب إسبانيا على ملك البرتغال وقع الصاعقة، فلم يعد البحر حكرًا على البرتغال وحدها!

إن كولمبس لم يدرك أنه اكتشف دنيا جديدة، وقد ظل حتى آخر لحظة من حياته يؤكد أنه نزل في أرض آسيا، وأنه لو واصل السير غربًا فسوف يصل نهر الكانج في الهند!

وهذا ما بعث الرعب في نفوس البرتغاليين، إذ لم يعد فائدة من مرسوم البابا الذي منح البرتغال حق ملكية جميع الأراضي الواقعة في طريق الهند من الشرق إذا كانت إسبانيا سبقتها من الغرب وانتزعت منها الهند!

ودقت طبول الحرب بين الجارتين، البرتغال وإسبانيا!

وكان لابد للبابا من التدخل لنزع فتيل الحرب بين الدولتين، وهما الدولتان الكاثوليكيتان، وأحب دول العالم إلى قلب البابا، وأكثرها طاعة وولاءً له!

لقد رأى البابا أن الحل الأمثل هو تقسيم العالم بين الدولتين!

هكذا كان رأي البابا.. وفي 4 مايو من عام 1493 صدر مرسوم البابا بشطر الكرة الأرضية شطرين متساويين.. فجميع البلدان الواقعة في غربي الجزر الخضراء تخص إسبانيا، وجميع البلدان الواقعة في شرقها تخص البرتغال.. ورضيت الدولتان بهذا التقسيم في بادئ الأمر، إلا أن البرتغال عادت فطلبت تعديله بحيث يميل خط التقسيم إلى الغرب، ووافق البابا على ذلك، وكانت النتيجة أن أصبحت البرازيل بعد اكتشافها، من نصيب البرتغال!!

ولكن: أين تلك الجزر التي تنتج التوابل والبخور، والتي يتوق المغامرون والمستكشفون إلى العثور عليها والوصول إليها؟

هل هي واقعة في غربي التقسيم أم في شرقيه؟

أهي من نصيب البرتغال أم من نصيب إسبانيا؟

هذا ما جهله البابا، وملوك الدولتين، والمستشكفون أنفسهم!!

المهم أن إسبانيا انصرفت لابتلاع القسم الغربي من العالم، بينما انصرفت البرتغال لابتلاع القسم الشرقي.

فهيا نتابع تلك الرحلات.

فاسكو داجاما
Vasco da Gama

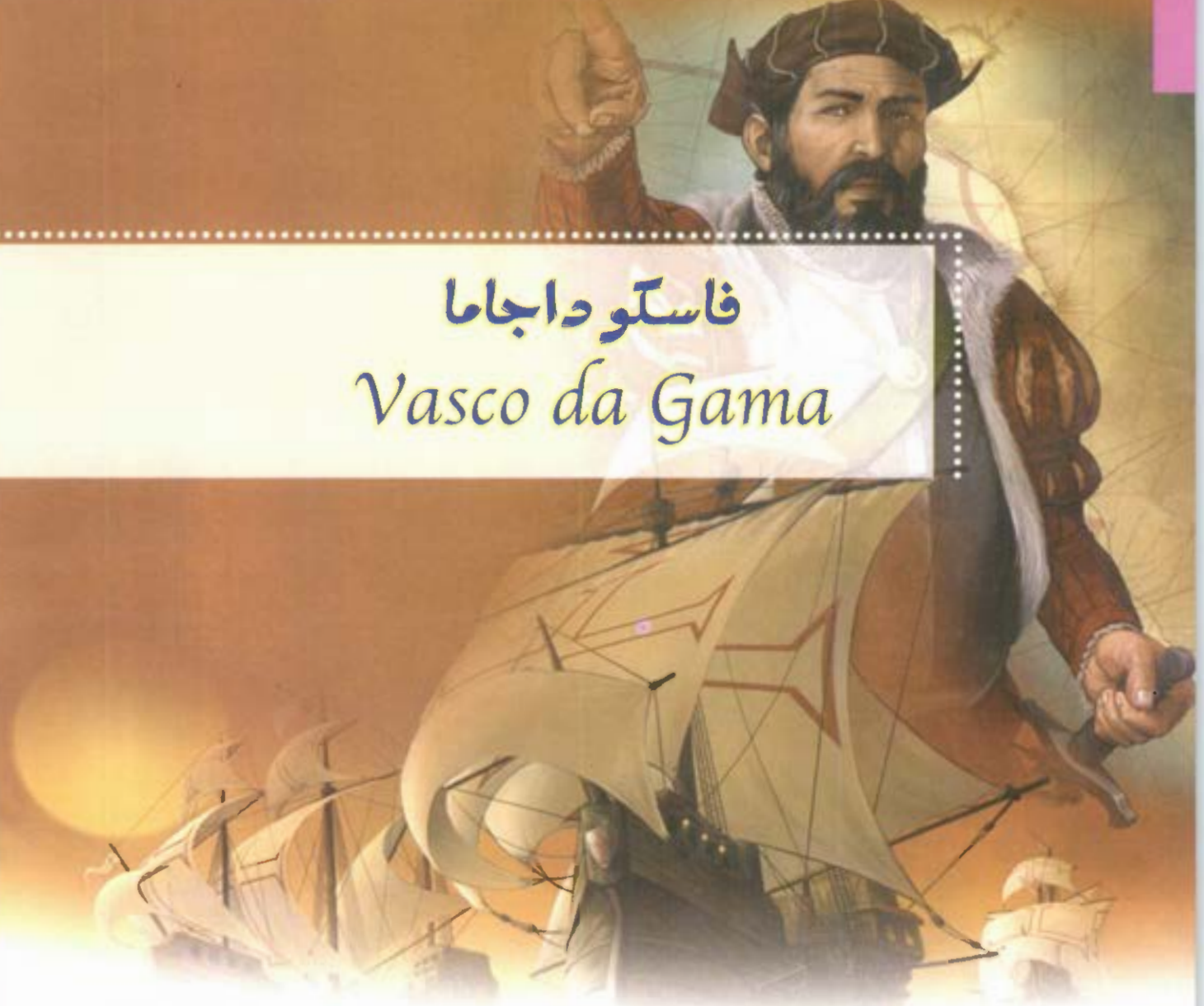

فاسكو داجاما ◀

بحار برتغالي وُلد في البرتغال عام 1469م، ومات في كلكتا بالهند عام 1524.

ويعتبر (داجاما) أول من سافر من الأوربيين إلى الهند بحرًا عن طريق رأس الرجاء الصالح، ليستكمل الرحلة التي بدأها سلفه (بارثو لومبو دياز)، وذلك بتكليف من ملك البرتغال لاستكشاف أراضٍ جديدة ينشر فيها الكاثوليكية. وكان قد سبق (داجاما) بعض البحارة الذين ساروا بمحاذاة الساحل الغربي لإفريقيا وأسسوا قاعدة بحرية تجارية على ساحل الذهب (غانا حاليًا).

رحلات داجاما

الرحلة الأولى:

في الثامن من يوليو عام 1497 أبحر (داجاما) من لشبونة في أسطول يتكون من 4 سفن إحداها تحت إمرته، وأخرى تحت إمرة شقيقه (باولو).

وصل (داجاما) إلى أقصى جنوب القارة، حيث انتهى سلفه (دياز)، وبدأ يدور باتجاه الشمال، وتصادف في ذلك الوقت أن كان الغربيون يحتفلون بعيد الميلاد، فأطلق (داجاما) على تلك المنطقة اسم (ناتال) وتعني بالبرتغالية (عيد الميلاد).

واصل (داجاما) تقدمه شمالاً بمحاذاة الساحل الشرقي لإفريقيا، حتى وصل موزمبيق، التي كانت تمثل محطة تجارية مهمة للتجار العرب والمسلمين في المحيط الهندي، وعندئذ أفصح (داجاما) عن نواياه، وأعلن عن أهدافه حين قال: (الآن طوّقنا المسلمين، ولم يبق لنا إلا أن نشدَّ الخيط!).

تظاهر (داجاما) بالإسلام، وهذا ما فعله معظم المستكشفين والمبشرين، وتمكن من مقابلة سلطان البلاد، إلا أن السكان شكُّوا في أمره، فطردوه ورجاله، فأبحروا بعد أن قصفوا المدينة بالمدافع!!

وفي أثناء تلك الرحلة هدم (داجاما) ورجاله نحو 300 مسجد على الساحل الشرقي لإفريقيا، وأغرقوا سفينة في خليج عدن كان على متنها نحو مائة حاج.. كما أحرقوا العديد من السفن المحملة بالأرز والقادمة من الهند، وكان يمتلكها تجار مسلمون!!

نزلت حملة (داجاما) في مومباسا Mombasa في كينيا، وكانت آنذاك مدينة تجارية عامرة، لم ير (داجاما)، من قبل، مدينة تضاهيها في عظمتها، حيث كانت ذات أسواق ومبانٍ وقصور.. وكان أهلها من قبائل العرب، وكانوا على دراية بأحوال التجارة مع الهند وعُمان وحضرموت.

وفي مومباسا قام (داجاما) ورجاله بنهب السفن المحملة بالبضائع، وهذا ما كان يصنعه في كل المدن التي ينزل بها.. وعندما ثار عليه السكان وقاوموه، ترك مومباسا متجهًا نحو مالندي Malindi في كينيا أيضًا.

من مالندي إلى الهند، وتصحيح خطأ تاريخي:

في مالندي وجد (داجاما) العديد من التجار الهندوس، وكان حكام مالندي على خلاف مع حكام ممباسا، لذا فإن حاكم مالندي أكرم (داجاما) وتبادل معه الهدايا وهناك أقام (داجاما) نصبًا تذكاريًا معلنًا إقامة مستعمرة برتغالية في مالندي.

▲ النصب التذكاري الذي أقامه داجاما في مالندي معلنًا إقامة مستعمرة برتغالية هناك.

أرسل حاكم مالندي مرشدًا ليدل (داجاما) على الطريق إلى الهند.

وهنا لابد من وقفة نصحح فيها خطأ تاريخيًا شائعًا.. إذ يذكر كثير من المؤرخين أن الذي صحب (داجاما) إلى الهند هو البحار العربي الشهير أحمد بن ماجد.. أما الصحيح فإن الذي صحب (داجاما) وكان دليله إلى الهند، هو مرشد عجراتي هندي يدعى كاناكا Canaca.. وترجع كلمة (كاناكا) إلى اللغة الهندية القديمة، حيث كلمة Ganak تعني إحدى الطوائف الاجتماعية الوراثية عند الهندوس، والتي تضم المنجمين والمختصين بالفلك ومؤلفي التوقيم.

هذا ما أثبته ووثقه الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم إمارة الشارقة، في رسالته القيمة (بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد).

وصلت حملة (داجاما) إلى الهند في 20 من مايو عام 1498، ونزل في كلكتا، وهناك نصب عمودًا من الرخام، كالذي نصبه في مالندي، دليلًا على افتتاحه لتلك البلاد وخضوعها للحكم البرتغالي.

والتقى بحاكمها الهندوسي، وبعد مفاوضات معه، تمكن (داجاما) من الحصول على وثيقة تعطي البرتغاليين حق الاتجار هناك.. لذا ترك (داجاما) بضائعه وبعضًا من رجاله وقفل عائدًا إلى البرتغال عن طريق رأس الرجاء الصالح.

العودة إلى البرتغال:

في أثناء رحلة العودة، وفي جزر الأزور (وهي تسع جزر في المحيط الأطلسي الشمالي تتبع البرتغال، وتبعد عنها نحو 1300كم) مات (باولو) شقيق (داجاما)، وفي سبتمبر من عام 1499 وصل (داجاما) إلى البرتغال بعد رحلة استمرت نحو عامين، وهناك استقبله الملك والشعب استقبالًا رائعًا، وكافأه الملك مكافآت عديدة، حيث قلده لقب أدميرال المحيط الهندي، ومنحه أيضًا لقب (كونت) وأقطعه مساحات شاسعة من الأرض، وخصص معاشًا ضخمًا له ولذريته من بعده.

وكانت رحلة العودة أصعب من رحلة الذهاب، حيث استغرق عبور البحر العربي نحو ثلاثة أشهر، ومات كثير من البحارة بسبب مرض الاسقربوط، إذ عاد منهم خمسة وخمسون بحارًا سالمين، بينما كان عددهم أول الرحلة مائة وسبعين بحارًا!! أما السفن فقد تحطمت سفينتان، وعادت إلى البرتغال سفينتان! مكنت هذه الرحلة البرتغاليين من السيطرة على الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث أقاموا عليه العديد من المراكز التجارية، التي أفادتهم فيما بعد في رحلاتهم التالية.

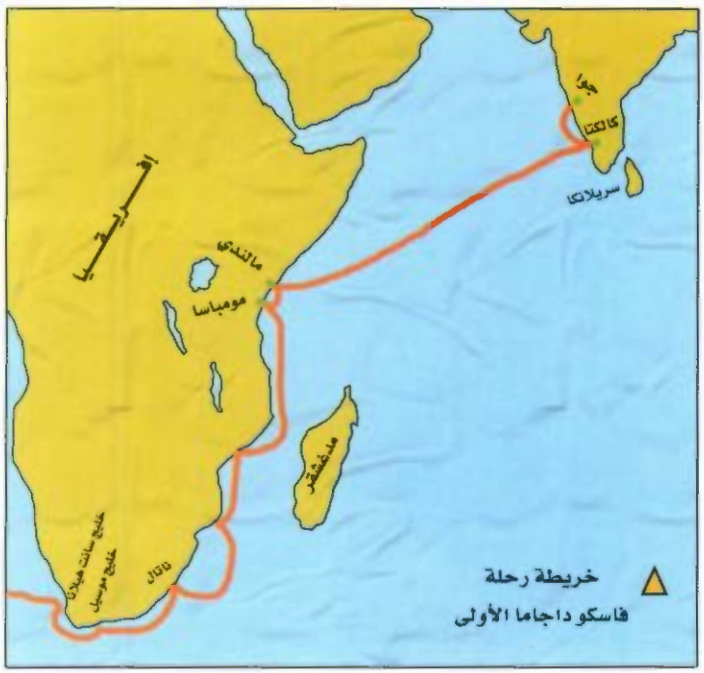

خريطة رحلة فاسكو داجاما الأولى

الرحلة الثانية:

تبع رحلة (داجاما) الأولى رحلة مؤلفة من ثلاث عشرة سفينة بقيادة (بيدرو كابرال)، مكتشف البرازيل، حيث وصل إلى كلكتا Calicut بالهند، وقاومه السكان مقاومة عنيفة، ووجد أن معظم من تركهم (داجاما) هناك قد قتلوا، مما دفعه إلى قصف المدينة، ورجع عائدًا إلى البرتغال محملًا ببضائع الهند القيمة.

رأت البرتغال أن مصالحها أصبحت مهددة في المستعمرات والمراكز التي أنشأتها على الساحل الشرقي لإفريقيا، وكذا في الهند، لذا كان عليها أن تدعم مصالحها هناك، فجهزت حملة قوامها عشر سفن بقيادة (فاسكو داجاما) التي منحته لقب (أدميرال الهند)..

أبحر (داجاما) في 12 فبراير من عام 1502، وما أن وصل إلى ساحل كلكتا حتى أمطرها بقذائف مدافعه، ثم نزل إلى البر وبطش بالسكان.

كان (داجاما) خلال رحلته هذه قد قام بالعديد من الأعمال الإجرامية، حيث اعترض سفينة حجاج كانت عائدة من مكة، فسلبها وأضرم فيها النار، فقضى على من كان فيها، وكان عددهم نحو 380 حاجًا.

وعندما وصل إلى ميناء كيلوا Kilwa، على الساحل الشرقي لإفريقيا في تنزانيا حاليًا، وهو من الموانئ التي استعصت عليه في رحلته الأولى، وكانت كيلوا من أهم الموانئ الإسلامية في المنطقة.. عندما وصل (داجاما) إلى ميناء كيلوا نزل به واتخذه مقرًّا لأعمال النهب والقرصنة ضد السفن العربية هناك.. وحطم أسطولًا تجاريًا مكونًا من 29 سفينة.. وفي محاولة لإرهاب التجار المسلمين هناك، قام بشنق 38 صيادًا، وألقى بهم في البحر.

وبعد أن تمكن (داجاما) من كيلوا والمدن المجاورة، قفل عائدًا إلى لشبونة، حيث وصلها في سبتمبر من عام 1503، وكانت سفنه محملة بالتحف وغيرها من خيرات الهند ومما سلبه من البضائع المختلفة.. وفي لشبونة قوبل مقابلة مهيبة من قبل الملك والشعب البرتغالي، ومنح العديد من المزايا الجديدة.

الرحلة الثالثة:

اعتزل (داجاما) الأسفار بعد أن رجع من رحلته الثانية، ولزم داره، وقد يعود السبب في ذلك إلى رغبته في التمتع بثروته الطائلة التي حصل عليها من رحلاته، أو لعدم رضاه بما منحه الملك من عطف وامتيازات.. وعلى الرغم من ذلك فقد استبقاه الملك مستشارًا خاصًا لشئون الهند والسياسة البحرية، وأحاطه بالعطف والرعاية.

اتسعت المستعمرات البرتغالية في الشرق، وتوالى عليها الحكام، إلا أن أحوال تلك المستعمرات ساءت واضطربت نظرًا لضعف هؤلاء الحكام، مما اضطر الملك إلى استدعاء (داجاما) من عزلته، وتكليفه بالإبحار إلى الهند وتولي شئون المستعمرات هناك، وخلع عليه لقب (نائب الملك في الهند).

في أبريل من عام 1524 غادر (داجاما) لشبونة في طريقه إلى الهند، وكان قد بلغ من العمر 64 عامًا.

وفاة (داجاما):

بعد رحلة استمرت نحو خمسة أشهر، وصل (داجاما) إلى جوا Goa، عاصمة المستعمرات البرتغالية في الهند، وحاول جاهدًا إصلاح أحوال تلك المستعمرات وإعادة النظام إليها، إلا أنه لم يلبث طويلًا حتى أصيب بالحمى ومات ودفن هناك.. ثم نقلت رفاته عام 1538 إلى فيديغويرا بالبرتغال، حيث دفنت هناك، ثم نقلت مرة أخرى عام 1880 إلى كنيسة القديسة ماريا في بلم.

وكان من أهم ثمرات رحلات (فاسكو داجاما) أن زادت مستعمرات البرتغال في الشرق.. ومهدت السبيل لغيرها من دول أوربا لغزو الشرق بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

خريطة للإمبراطورية البرتغالية في عهد جون الثالث ما بين 1502 - 1557 م